أليس من الممكن؟!

أليس من الممكن بل من الواجب اللازب، هدم هذه الحواجز المفتعلة التي يقيمها الأجنبي من هنا أو هناك، ويرفع منها سدوداً وحدوداً وقيوداً بين الأخوة، خصوصاً ان تاريخ التدخل الأجنبي المختلف الأوجه، حافل بصنوف الاعتداءات الدموية على حقوق الأمم الضعيفة، وعلى أرواح الشعوب الآمنة وعلى حرياتها وأرزاقها، وهو اليوم لا يحاول حتى أن يستر نيّاته كما عهدناه في الماضي، أو يسبغ على تصرفه أي لون مشروع أو معقول، بل يتقدّم متغنياً ومتبجحاً في غير حياء ولا خجل، بما يستطيع أن يغنم من وراء الدم المسفوك، والحريات المغصوبة، والبلد المباح، يريد أن يزيد في ممتلكاته وفي ثرواته وفي سلطانه كما فعل المغتصبون في فلسطين منذ أمد بعيد ولمّا يزالوا، انها القرصنة المجرّدة والسلب الجهر، وقطع الطريق، وهو أخيراً كل ما في الجريمة من عدوان وانتهاك، وكل ذلك باسم الحقوق الغريبة من مناخاتنا ومصالحنا على السواء.

يزعمون انهم رسل السلام والآخاء والحقوق الإنسانية، وهذه إنما هي شبح وستار تعمل وراءه قوى الاستعمار الجديد فتتآمر وتتلوّن وتمثل مختلف الأدوار التي تمكّنها من أعناق الفرائس، والفرائس هي الشعوب العربية التي سُلبت أو يُراد أن تُسلب حرياتهم باسم أحلاف عسكرية ظاهرة أو مضمَرة.

هذا، فيما شرفاء عقلاء مهمَّشون أو قادة أفذاذ منفيّون، دافعوا عن الحق ومشوا في ركاب العدالة، ما زالوا يؤمنون بالمحبة وقيم الفضيلة والإيمان المعتدل، ومن شأنهم، لو قُدِّر لهم، أن يرفعوا السوط، ليطردوا من هيكل عزّتنا المرابين واللصوص والقتلى الآثمين، وليطهّروا أرضنا المقدّسة من جراثيم الشر والفساد والطغيان.

متى يعود هؤلاء فيشمخون كالطود ولا يذعنون لباغ ولا ينحنون إلاّ لخالقهم ولتراب أرضهم ولذكرى شهدائنا الأبرار الخالدين.

شأن كبار شرفائنا العقلاء وحدَهم أن تنقاد الزعامة والبطولة إليهم. الأيام التي نعيشها حالياً مأسوية، فالظلم والشقاء والبغض والكراهية والاصطفافات الأحادية البُعد، تجسّد الجو المسيطر... حيال هذه المآسي، بقاؤنا لا مبالين مكتوفي الأيدي هو اجرام، هو نكران لله ولمبادئه ما دامت العلامة الفارقة الأساسية لإيماننا هي المحبة والتسامح... فليكن كل مواطن خفيراً، ريثما نشهد ثورة بيضاء يقوم بها رجال كالذين رسمنا معالمهم في خطوطها العريضة، في هذه العجالة. فالحاكم الوحيد في قومه، هو الله، وصورته فيهم، ليس الحاكم بأمره أو باسم الله بل ضمير رجلٍ ليس كالرجال إذا استطاع أن يعبّر عنه في حرية.

د. جهاد نعمان

أستاذ في المعهد العالي للدكتوراه